obeikandl.com

الحياة السياسية والاجتماعية السائدة في حياة الغزالي

obeikandl.com

لا بد لنا قبل الدخول في مجال البحث من التعرف على الظروف الاجتماعية، والسياسية التي كانت سائدة في حياة الغزالي، وقبل ولادته لكي تكون الدراسة مستوفية الجوانب المعرفية لما لها من أهمية على حياته، ونتاجه الفكري،والإبداعي، وإن المحدثين، والمفكرين قد تناولوا هذه الشخصية من عدة جوانب.

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري كان يحكم المنطقة العربية (الإسلامية) دولتان كبيرتان العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة.

فالدولة العباسية كانت تعاني من مرض الشيخوخة الحاد، ومن الفوضى، والارتباك، والفساد مما أدى إلى تسلل عناصر أجنبية داخل الدولة العباسية، فالخليفة يحكم في قصره بالاسم أما الولايات، فكانت مسيطراً عليها من قبل العناصر الأجنبية.

وهذه العناصر هي البويهية، والسلجوفية، وهما اللذان سيطرا على الحكم داخل الدولة العباسية، وأخذا صلاحيات الخليفة، وميزاته.

أما الدولة الفاطمية فلم تكن على حال أحسن من سابقتها، فالفساد، والفوضى خيّما على الدولة، ولم يستطع الخليفة الفاطمي مواجهة هذه الأزمات، مما أدى أيضاً إلى دخول عناصر إلى الحكم من قبل الأجانب مثل القائد الأرمني (بدر الجمالي).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخلاف بين الدولتين العباسية، والفاطمية كان قوياً، وظلّ كل جانب يكيل للآخر العداء، مما دفع الفاطميين إلى إحداث انقلاب عسكري في بغداد أطاح بالخلافة العباسية، وحول بغداد إلى مدينة تابعة للخليفة الفاطمي في مصر.

وتذكر كتب التاريخ أن هذا الانقلاب بفضل تخطيط ودهاء أحد أعلام الأدب، والعلم، والخطابة هو "هبة الله بن أبي عمران بن داود" داعي دعاة الفاطميين، والذي ذاع صيته لمناظرته لأبي العلاء المعري.

"ولد في بلاد فارس عام ٤١٠هـ وكان داعية للإسماعيلية في بلاد فارس، والعراق بعد وفاة والده، وقد توصل إلى معرفة الملك البويهي (كاليجار) الذي أعجب به، وحضر المجالس، والمناظرات بينه، وبين علماء المعتزلة، والسنة، وكان متفوقاً بحججه، وقوة بيانه مما أثار حفيظة العلماء، وطبقة القضاة، ويعلنون غضبهم منه، وكلف بترميم أحد المساجد والإشراف عليها وقام بكتابة وطباعة أسماء الأئمة الفاطميين، وخطب خطبة الجمعة باسم الخليفة الفاطمي "المستنصر بالله" فغضب قاضي الأهواز، وأرسل إلى الخليفة العباسي "القائم بأمر الله" كتاباً ينعي فيه الدولة العباسية، فأرسل الخليفة العباسي إلى المؤيد وزيره ابن سلمه إلى شيراز مع كتاب إلى الملك كاليجار (الملك البويهي) يهدده بالاستعانة بالسلاجقة، للاستيلاء على شؤون الدولة، إذا بقي المؤيد قائماً بنشاطه، فخاف كاليجار من عاقبة الأمور، وأوعز للمؤيد بالخروج، فتوجه إلى القاهرة في عام ٤٣٩هـ ولم يشاهد هناك إلا الوزراء الوصوليين، والنفعيين فأراد الخروج من القاهرة، ولكنه لم تمكن بسبب رغبة الخليفة، فعاش بين التناقضات، والدسائس والفتن وبعد ذلك تولى ديوان الإنشاء، فتحسنت حالته المعيشية[١٧]

(١٧) الغزالي بين الفلسفة والدين ـ عارف تامر ـ دار رياض الريس ـ ص ١٧.

obeikandl.com

فأرسل بأمر من الخليفة الفاطمي للإطلاع على أوضاع السلاجقة الذين يشكلون خطراً على الدولة الفاطمية، وإذا ما تمت السيطرة للملك "طغرل بك" فينتزع من الدولة الفاطمية من ديار الشام، كان ذلك بفضل تمحيصه، ونظرته الثاقبة، وذكائه الحاد، وكان وراء استجابة له وصفه خبيراً بأحوال المشرق وعارفاً بأحوالها، وأوصافها.

تزامن ذلك مع ازدياد نفوذ البساسيري في الدولة العباسية، فكانت العلاقة وثيقة بين البساسيري والمؤيد، وجرى بينهما اتصال سري، واتفقا على خطة العمل التي تهدف إلى الإطاحة بالدولة العباسية.

وفي بلاد الشام جنّد المؤيد ثلاثة آلاف رجل من قبيلة "بني كليب" وأرسلهم إلى الرحبة ليكونوا بإمرة القائد البساسيري.

وفي حمص طلب المؤيد من المرداسيين في حلب " بعد أن طلب منه الوزير البازوري عدم الاتصال بالمرداسيين" الاجتماع في مكان يسمى "الرستن" واستمالهم المؤيد وعقد معهم اتفاقاً للعمل المشترك بينهما، وسارا معاً إلى حلب وصادفا بعض جند البساسيري لمرافقة المؤيد إلى العراق، وفي حلب أقام المؤيد مدة قصيرة، وتوجه إلى الرحبة، ومعه (ثمال بن صالح) أحد قادة المرداسيين وبعد أن وصل إلى الرحبة فخرج البساسيري مع رجاله لاستقبال المؤيد استقبالاً يليق به، ومن خلال الاجتماع اقترح المؤيد أن يتصل بنور الدولة الأمير دبيس بن مزيد صاحب الحلة، وأمير بني أسد، وإقناعه بالالتحاق بالبساسيري وأصبحت الفرصة مواتية أمام البساسيري، فزحف إلى بغداد في عام ٤٤٨هـ واعترض مسيرته صاحب الموصل، فنشبت معركة بموقع سنجار،

وانتصر البسا سيري، وهزم أعداؤه[١٨]، وأراد المؤيد بعد ذلك استمالة القبائل العربية في الشام، وتجنيدهم لتحقيق النصر.

ودخل بغداد في عام ٤٥٠هـ وقرر الخليفة العباسي أن يغادر بغداد، ولم يسمح له إلا بعد أن كتب وثيقة بخطه اعترف فيها بأنه لا يحق له، أو لأحد من بني العباس في الخلافة العباسية، وهي من حق الفاطميين.

وعاد المؤيد إلى مصر ولم يحفل به أحد.

ولم تدم هذه الحال مع البسا سيري، وبعد أن قضى (طغرل بك) على حركة أخيه إبراهيم الذي أشعل نارها المؤيد في الدين، زحف إلى بغداد بقوات كبيرة.

وبعد أن تفرق جنوده عنه، وعاد الخليفة العباسي، فقرر البسا سيري الخروج إلى الكوفة وخرج القائدان "خمار تكين الطغرائي" و "ابن منيع الخفاجي" إلى الكوفة، وحاصرا البسا سيري، وقتل هناك.

وفي مصر أيضاً حدثت هناك بعض المفاجآت مات الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وتولى الخلافة ابنه الأفضل المستعلي بن المستنصر بالله[١٩].

هذه الأحداث قد عارضها الإسماعيليون في بلاد فارس وسورية وعلى رأسهم الحسن بن الصباح مؤسس دولة "الموت".

---

(١٨) نفس المصدر السابق ـ ص:١٩

(١٩) نفس المصدر السابق ـ ص:٢١

obeikandl.com